المحاضرة الأولى: الموضوع والمفاهيم

تمهيد:

إن أول ما يمكن الإشارة إليه في مقياس علم المصطلح؛ هي دلالته ومفاهيمه، فنبدأ بتوضيح مفهوم المصطلح لغة واصطلاحا، ثم مفهوم المفهوم ثم علاقة المصطلح بالمفهوم، وغيرها من العناصر التي تتعلق بهذا الموضوع، كطبيعته وخصائصه ومجاله وحدوده ومفاهيمه، حتى نُكوّن معرفة واضحة عن مصطلحات هذا العلم ومفاهيمه.

المصطلح لغة:

يقول ابن منظور معرّفا معنى المصطلح: "الصُّلْحُ: السِّلْمُ، وقد اصْطَلَحوا، وصَالحوا، واصَّلَحوا وتصَالحوا واصَّالحوا، مشدّدة الصَّاد، قلبوا التَّاء صادًا، وادغموها في الصَّاد بمعنى واحدٍ. وقومٌ صُلُوحٌ متصالحون...".

يبدو واضحا أنّ المفهوم اللُّغوي لكلمة المصطلح عند ابن منظور يعني الاتّفاق والاجتماع، وهو المعنى الذي لم ينأ عنه اللّغويون المحدثون عندما قدّموا في معجماتهم معاني كلمة مصطلح بالمفهوم نفسه، فقد وردت أيضا كلمة مصطلح في تلك المعاجم بمعنى الاتفاق والتّصالح، كما ورد في المعجم الوسيط أن معنى كلمة مصطلح من الفعل "(أَصْلَحَ) في عَمَلِهِ أو أَمْرِهِ: أتَى بما هو صالحٌ نافعٌ. و- الشَّيءَ: أَزَالَ فَسَادَهُ ... واصْطَلَحَ القوْمُ: زال ما بينهم من خِلافٍ، وعلى الأمْرِ تَعَارَفُوا عَليهِ واتَّفَقُوا"، فكلمة "المصطلح" لم تتغيّر دلالتها، وإنَّما ظلَّتْ محافظة على هذا المعنى اللُّغوي وهو الاتِّفاقُ والتَّصالُح.

التعريف الاصطلاحي:

جاء المعنى الاصطلاحي بنفس الدلالة اللُّغوية تقريبا؛ ومن التّعاريف التي يمكن الإشارة إليها لكلمة المصطلح هي أنَّه "لفظ كلمةٍ أو كلمات ذات دلالة علميَّةٍ أو حضارية، يتواضع عليها المشتغلون بتلك العلوم والفنون والمباحث، وفي جميع الأحوال يجب عند وضع المصطلحات الاهتمام بالمعنى قبل اللَّفْظ، وأن يكون لكلِّ مصطلحٍ مفهومٌ مخصوصٌ بهِ"، ولم يبتعد الجرجاني عن هذا المعنى وهو يُعرِّف المصطلح عندما قال: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسميَّةِ الشَّيْءِ باسم ما يُنْقَلُ عن موضعه الأول"، والاصطلاح عند الجرجاني أيضًا هو "اتِّفاقُ طائفة على وضع اللَّفْظ بإزاء المعنى وإخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المُراد، وهو أخيرًا، لفظٌ معيَّنٌ بين قومٍ مُعيّنين".

يبدو جليًّا أن مفهوم المصطلح لَمْ يبتعد عن معنى الاتِّفاق والتَّصالُح. وهو ما ينبغي أنْ يكون عليه الأمر من ضرورة اتِّفاق أهل التّخصص في وضع مصطلحات دقيقة تحمل مفاهيم علمية أو مضامين معرفية لا يكون حولها خلاف أو نزاع، أو هذا ما يجب أن يكون عليه الأمر.

خصائص المصطلح:

بعد التَّعرُّف على دلالة المصطلح ومفهومه؛ نتطرَّق إلى خصائصه العامة وسماته الدَّقيقة،

فمن أهم خصائص وضع المصطلح البساطة والوضوح، أي توضيح المضامين العلمية والمفاهيم المعرفية بأقل ما يمكن من التراكيب؛ وذلك بتجنب الكلمات الغامضة واجتناب التّعريف بالمرادف، لأن ذلك من شأنه أن يربك المعرفة ويثير فوضى اصطلاحية، من أجل ذلاك كله ينبغي أن يكون لواضع المصطلحات العلمية ثقافة واسعة تمكِّنُهُ من التَّحكُّم في العملية الاصطلاحية.

والجدير بالذكر في سياق الحديث عن خصائص المصطلح الإشارة إلى أنَّ "المصطلحات لا تُوضَعُ ارتجالا، ولابُدَّ في كلِّ مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللُّغوي ومدلوله الاصطلاحي".

مفهوم المفهوم:

يُعَدُّ المفهوم الوجه الآخر للمصطلح، أو هو الصورة المحمولة له وما يتضمنه من دلالات علمية أو مضامين معرفية، لذلك يعرَّفُ بأنّهُ "الوسيلة الرمزية التي يستعين بها الباحث للتّعبير عن الأفكار والمعاني المختلفة، بهدف توصيلها إلى النَّاس، وهو أحد الرّموز الأساسيّة في اللّغة، يمثل ظاهرة مُعَيّنةً (رمزها) أو شيئا معينا، أو إحدى خصائص هذا الشّيء، وليس له معنى إلا بقدر ما يشير إلى الظاهرة التي يمثلها"، كما يُعرَّفُ المفهوم على أنَّهُ "وِحْدةٌ معرفية مستقلَّة، لا ترتبط بالضَّرورة بلغة من اللُّغات، أو بلهجة من اللّهجات، وإنّما تنتمي مباشرة إلى المستوى الفكري (المعرفي)، وتُكَوِّنُ عناصره الأساسية؛ وبالتَّالي فإن المفهوم يتَّصل بشكل مباشر بإدراك العالم وأشيائه، فهو يُجسِّدُ الأشياء على المستوى الفكري، وكلُّ تغير يطرأُ على خصائص هذه الأشياء يؤدي بالضَّرورة إلى تغيُّر على مستوى المفهوم".

فالمفهوم هو ما يُجسِّدُ الجانب الفكري لطبيعة الأشياء، وهو مجموعة من التَّصورات والمضامين لمختلف القضايا المعرفية التي تحتاج إلى محمولات تُعَبِّرُ عنها.

علاقة المصطلح بالمفهوم:

من المفيد أن نُشير في هذا المقام إلى طبيعة العلاقة بين المفاهيم الأساسية للمصطلح والتّي هي على النَّحو الآتي: المفهوم (Concept)، والموضوع (Object)، والمصطلح (Term)، مع العلم أنَّ هذه العناصر لها علاقة وطيدة فيما بينها وذلك داخل مجال معرفي،

المجال: مجموعة من المفاهيم المرتبطة فيما بينها بعلاقات دلالية تُشَكِّلُ منظومة مفهومية.

المفهوم: وحدة تفكير مُكَوَّنَةٌ بالتَّجريد، انطلاقا من خصائص مشتركة لمجموعة موضوعات، مصدرها الذِّهن بما يحمله من تصورات حول عالم الموجودات.

الموضوع: عنصر حقيقي مُدْرَكٌ أو مُتَصَوَّرٌ، يمكن أن يكون ماديًا مثل النَّبات أو غير مادي مثل الذّكاء، ويُعَدُّ تمثيلا محققا للمفهوم وانعكاسا لواقع الموجودات.

المصطلح: وحدةٌ لغويةٌ تُشير إلى المفهوم المُحدَّد وفي لغة اختصاص معيّن، ويمكن أن يكون كلمة أو كلمات، وبالعودة إلى الحديث عن علاقة المصطلح بالمفهوم فهي علاقة وثيقة الصّلة لأنّ "المصطلحات رموز للمفاهيم بحسب إدراكنا لها، الأمر الذي يعني أنَّ المفاهيم قد وُجِدَتْ وتشكَّلت قبل المصطلحات،

فتسمية المفهوم يمكن أن تعدَّ الخطوة الأولى في تماسكه كمطلب سوسيولوجيوكيان قابل للاستعمال".
بمعنى أن المصطلح يتّبع نهجا مخالفا لمسار المدلول؛ فينطلق من المفهوم إلى المصطلح، أما الكلمة فتأخذ مسارا مختلفا، حيث تتجه من الدّال إلى المدلول.

تعريف علم المصطلح :

علم المصطلح (Terminology) هو " العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها". وهو علم مشترك بين علوم اللغة ، والمنطق وحقول التخصص العلمي ويهم هذا العلم المتخصصين في العلوم والتقنيات ، والمترجمين ، والعاملين في الإعلاميات ، وكل من له علاقة بالاتصالات المهنية والتعاون العلمي.

مجالات علم المصطلح:

أولاً: يبحث علم المصطلح في العلاقات بين المفاهيم المتداخلة (الجنس – النوع، والكل- الجزء). والتي تتمثل في صورة أنظمة المفاهيم التي تشكل الأساس في وضع المصطلحات المصنفة التي تعبر عنها في علم من العلوم.

ثانياً: يبحث علم المصطلح في المصطلحات اللغوية، والعلاقات القائمة بينها ، ووسائل وضعها، وفروع علم الألفاظ أو المفردات ، وعلم تطور دلالات الألفاظ.

ثالثاً: يبحث علم المصطلح في الطرائق العامة المؤدية إلى خلق اللغة العلمية والتقنية بصرف النظر عن التطبيقات العملية في لغة طبيعية بذاتها. ويصبح علم المصطلح بذلك علماً مشتركاً بين علم اللغة، والمنطق والوجود ،والإعلاميات ، والموضوعات المتخصصة وكذلك علم المعرفة، والتصنيف فكل هذه العلوم تتناول في جانب من جوانبها التنظيم الشكلي للعلاقة المعقدة بين المفهوم والمصطلح.

نشأة علم المصطلح:

إنّ التقدّم في المعرفة البشريّة والتكنولوجيا والاقتصاد يعتمد إلى حدّ كبير على تبادل المعلومات وتوثيقها . فالمفاهيم، التي نعبّر عنها بالمصطلحات والرموز تُستخدم، أساساً لتنظيم الأفكار العلميّة وجميع المعلومات الأخرى. غير أنّ هذا التطور السريع في المعارف الإنسانيّة أدّى إلى صعوبة إيجاد مصطلحات كافية شافية، إذ لا يوجد تطابق ولا تناسب بين عدد المفاهيم العلميّة المتنامية وعدد المصطلحات التي تعبّر عنها.

فعدد الجذور في أيّة لغة لا يتجاوز الآلاف على حين يبلغ عدد المفاهيم الموجودة الملايين، وهي في ازدياد ونمو مضطردين.

ففي حقل الهندسة الكهربائيّة، مثلاً، يوجد حالياً ما يربو على أربعة ملايين مفهوم ، على حين لا يحتوي أكبر معجم لأيّة لغة على أكثر من ستمائة ألف مدخل.

ولهذا كلّه، تلجأ اللغات إلى التعبير عن المفاهيم الجديدة بالمجاز والاشتراك اللفظيّ وغيرهما من الوسائل الصرفيّة والدلاليّة.

وقد يقود ذلك إلى ارتباك واضطراب على المستوَيين الوطنيّ والدوليّ، خاصّة أن تصنيف المفاهيم وطريقة التعبير عنها يختلفان من لغة إلى أخرى ما يؤدّي إلى صعوبة في تبادل المعلومات وتنميتها. ولهذا، كان لا بدّ من توحيد المبادئ التي تتحكّم في إيجاد المفاهيم أو تغييرها وفي وضع المصطلحات المقابلة لها وتعديلها. ومن هنا نشأ علم المصطلح الحديث خلال القرن العشرين، وهو علم حديث النشأة وما زال في دور النمو والتكامل.

* شرع علماء الأحياء والكيمياء بأوروبا في توحيد قواعد وضع المصطلحات على النظام العالمي.

- نمت هذه الحركة تدريجياً فصدر بين 1906-1928 معجم شلومان المصور للمصطلحات التقنية في 16 مجلداً. وبست لغات .

- تكمن أهمية هذا المعجم في أنَّ وضعه تم على أيدي فريق دولي من الخبراء، وأنه لم يرتب المصطلحات الفبائياً، وإنما رُتب على أساس المفاهيم والعلاقات القائمة بينها.

*شهد عام 1931م صدور كتاب (التوحيد الدولي للغات الهندسية، وخاصة الهندسة الكهربائية) للأستاذ فيستر، الأستاذ بجامعة فينا .الذ ي أرسى كثيراً من أصول هذا العلم الجديد. وقد عد معظم اللغويين والمهندسين هذا الكتاب من المراجع الهامة في صنعتهم.

- في سنة 1936م وبطلب من الاتحاد السوفيتي مُمَثَلاً في أكاديمية العلوم السوفيتية تشكلت (اللجنة التقنية للمصطلحات) ضمن (الاتحاد العالمي لجمعيات المقاييس الوطنية ISA).

- بعد الحرب العالمية حلت محل لجنة التقنيات للمصطلحات، لجنة جديدة تسمى (اللجنة التقنية 37) المتخصصة في وضع مبادئ المصطلحات وتنسيقها، وهي جزء من (المنظمة العلمية للتوحيد المعياري ISO)التي تتخذ جنيف مقراً لها ويتولى (المعهد النسماوي للمقاييس) في فينا أمانة سر (اللجنة التقنية).

*في عام 1971م، وبتعاون بين اليونسكو والحكومة النمساوية، تم تأسيس (مركز المعلومات الدولي للمصطلحات) في فينا، ويتولى إدارة المركز الأستاذ هلموت فلبر أستاذ المصطلحية في جامعة فينا. ومن أهداف هذا المركز ما يلي:

1- تشجيع البحوث العلمية في النظرية العامة للمصطلحية، ووضع المصطلحات وتوثيقها، وعقد دورات تدريبية في هذا الحقل.

2- توثيق المعلومات المتعلقة بالمصطلحات والمؤسسات القطرية والدولية العامة في هذا الميدان.

3- تنسيق التعاون الدولي في حقل المصطلحات وتبادلها، وتبادل المعلومات عنها.

4- بحث إمكانات التعاون بين بنوك المصطلحات وأسس تبادل المعلومات بينها. وقد عقد هذا المركز عدداً من المؤتمرات والندوات العالمية كان أولها: الندوة العالمية الأولى حول التعاون الدولي في حقل المصطلحات التي عقدت في فينا سنة 1975م.

وقد أظهرت بوضوح حاجة المنظمات الدولية للتعاون في تبادل المعلومات حول المصطلحات ورغبتها الشديدة فيه.

ونظراً لإقبال عدد من المنظمات الدولية الكبرى على استخدام الحاسب الالكتروني في خزن المصطلحات وتوثيقها، وضرورة الاتفاق على أسس عالمية تيسر تبادل المعلومات، نظم المركز في فينا في نيسان 1979م المؤتمر الأول لبنوك المصطلحات الدولية الذي كان يرمي إلى:

أ - إرساء مبادئ التعاون الدولي في حقل المصطلحات العلمية والتقنية وتبادلها وشروط هذا التعاون.

ب - تطوير مجموعة من الأسس الهادية التي تيسر إقامة بنوك جديدة للمصطلحات.

ج- إعطاء فكرة واضحة عن المشكلات الرئيسة التي تواجه بنوك المصطلحات، واقتراح الحلول فيها.

* في عام 1979م في الفترة 27-30 تشرين الثاني نظم مركز المعلومات الدولي للمصطلحات بالتعاون مع أكاديمية العلوم السوفيتية ندوة عالمية حول المشكلات النظرية والمنهجية، لبحث المعجمية وحالتها الراهنة وإمكانات تطويرها، ومشكلات تنسيق المصطلحات وتوحيدها، ومشكلات تعليم المصطلحية، وعلاقة المصطلحية بالعلوم الأخرى.

وكان من أهم ما أوصت إليه الندوة في ختام اجتماعها ما يأتي:

- ضرورة تعميق التعاون وتبادل الآراء والخبرات على المستويين الوطني والعالمي لحل المشكلات النظرية والمنهجية في المصطلحية.
- ضرورة تطوير نموذج لبنك مصطلحات خاص بحقول محددة.
- وضع وصف لواجبات العاملين في حقل المصطلحات وطبيعة أعمالهم.
- تجميع المناهج الجامعية المستعملة في تدريس المصطلحية مع أخذ حاجات الأقطار النامية في النظر.

- من المؤتمرات التي كانت عن المصطلحية (الندوة العالمية حول مشكلات الترادف والتعريب في المصطلحية) التي عقدت في كندا في حزيران 1982م.
- ثم الندوة الخاصة بالمصطلحية في المؤتمر العالمي للمعجميين بجامعة اكسترا في أيلول 1983م.

المراجع: محاضرات في علم المصطلح، إعداد: د. طواهري، مراجع إلكترونية، مواقع انترنت ...